

اللغة الحوبية

و الحضارة الإنسانية

دراسة لغوية في ضوء علم اللغة الحديث

د. وجيه حمد عبد الرحمن

أستاذ اللغة والأصوات المساعدة

كلية التربية بالمدينة المنورة

جامعة الملك عبد العزيز.

وتبع هذه الأحداث من أصل واحد هو الأصل الديني - العسكري الذي كان يوجه الجماعات الغربية ويقود خططها. ومن هنا كان هذا التفكير للحركة الحضارية الخصبة التي خلفها انتشار الإسلام ومحاولاته اغتصابها وانتزاع القيادة الحضاري من أيدي المسلمين ليكون في أيدي خصومهم.

ولجاً الغرب في بادئ الأمر إلى أبشع الوسائل لتشويه الإسلام وطمس حقائقه وتصويره للشعوب الأخرى بأقبح الصور، والتليل من رسالته ورسوله، ومن كتابه وأصحابه، ومن تعاليمه ورجاله حتى يقف ذلك حائلاً دون انتشاره. وما رواية سلمان رشدي «الآيات الشيطانية» - التي تختص بالعبارات النابية والألفاظ القاذعة المجردة من الذوق السليم ومعايير الأدب الأخلاقية - ناهيك عن احترام الكتب السماوية - إلا حلقة في سلسلة تلك الشبهات والاتهامات التي تثار ضد عقيدة مليار من البشر

التحدي العقدي :

لعل من نافلة القول أن المسلمين قد لاقوا في القرون الأخيرة التي نشط فيها الاستعمار، وامتد على طول القارات المعروفة ألواناً من التحديات والغزوـات، كان منها العسكري والفكري والديني. وكان منها اللغوي - بطبيعة الحال - نظراً للترابط الشديد بين العقيدة وأداتها أو وعائتها. فاللغة وعاء لحفظ العقيدة وما ينبع عنـها من ثقافة وحضارة وهي وسيلة للتعبير عنها والعربـة التي تنقلها عبر الأجيـال في مختلف الأزمنـة والأمكنـة.

كما شهد تاريخنا سلسلة من الأحداث الكبار منذ كانت الحروب الصليبية، على أرض الإسلام، ثم ما تبعها على أرض الإسلام. ثم كانت خاتمة هذه الأحداث الحرب العالمية الأولى فالحرب العالمية الثانية بما تبعها من حركات التحرر الوطني، وبدايات اليقظة القومية وتفهـر الشعور الديـني.

عامين في الهند ودرس خلاهمما الاسلام. وقد أعجب بشخصية الرسول عليه السلام إعجاباً فائضاً. وما يؤثر عنه أنه قال عندما أعلنت الحرب العالمية الثانية :
أَتَى لَنَا بِرَجُلٍ كَمُحَمَّدٍ يَأْتِي لِيَحْلِي مَشَاكِلَ
الْعَالَمِ⁽²⁾.

وقرأ برنارد شو لأحد رجال الدين في القرون الوسطى هجوماً ضد النبي ﷺ ووصفه بأنه «راعي إبل» فعلق على ذلك شو قائلاً :

إن أتباع هذا النبي قد تعلموا درساً في الأدب غير الذي عملت أنت، فإنهما يسمون تلاميذ السيد المسيح «بالخواربين» وكان بوسعيهما أن يصفوهما بأنهما جماعة من الصيادين.⁽³⁾.

ويرى برنارد شو أن الاسلام صالح لكل زمان ومكان وأنه بدلاً من الاعتقاد بعداء محمد عليه السلام لل المسيح عيسى فإنه يتبعه وصفه بمنقذ البشرية.
تحدي أدلة العقيدة :

كان ما تقدم ذكره تحد على الصعيد العقدي. وما كانت أدلة العقيدة لتسلم من محاولات التشهير والنيل. وقد انصب المهجوم على عدة محاور أهمها الحرف العربي — حيث اتهم بالقصور وطالب الكثيرون بتلبيته، بمعنى استخدام الخط اللاتيني بدلاً منه، وقد حدث ذلك في تركيا التي كانت لغتها تكتب بالحرف العربي — هذا بالرغم من أن نظام الكتابة العربي نظام صوتي، وأن هناك تمازجاً بين عدد الحروف والأصوات في الكلمة. وهو بذلك يتناهى ونظام الكتابة الصوتية العالمي (International Phonetic Alphabet) الذي توصل إليه علماء الغرب في عصرنا هذا للتغلب على المشاكل الناجمة عن انعدام الاتساق بين الحرف والصوت في معظم اللغات الأوروبية. فالحرف الأول في الأبجدية الانجليزية

شيدت في إطارها حضارة سادت كوكبنا دون منازع لعدة قرون ونقلت الحضارة الغربية أساسياتها ومنهجها عنها. عقيدة تدعو إلى التوحيد الخالص وتزيل الفوارق بين البشر من لون ولغة وجنس **إإن أكْرَمْكُمْ عَنْدَ اللَّهِ أَتَقَامُكُمْ** (الحجرات : 13). عقيدة تدعو إلى العمل وإلى العلم وإلى تعمير الكون واكتشاف أسراره والتدبر في ملوكوت الله لتعزيق الآيات به ولا أدل على تجرد بعض علماء الغرب من موضوعيتهم ومنهجهم العلمي — الذي أدى بالعديد من أقطابه لاعتناق الاسلام — من استبدال كلمة الاسلام بتعبير يتنافى مع جوهر الاسلام السماوي وهو «الحمدية» Mohammadism في محاولة لاضفاء الصبغة الوضعية عليه وتجريده من كونه رسالة سماوية خالدة هي خاتمة الرسالات السماوية للعالمين. وقد انتوى من بين المستشرقين الغربيين وولت تيلر Walt Taylor للرد على هذا التشويه حيث رأى أن بالأمكان إفراد بحث كامل لاستخدام كلمة محمد ﷺ في الانجليزية. فقد نال هذا الاسم كثير من التحرير. فاستخدمت الانجليزية الوسطى Maumet بمعنى «دمية» وهي في كتابات ولIAM شكسبير makomet و mameet mahound التي تعني «Idol» صنم. ويتساءل تيلر في معرض رده على من يعمدون إلى تحرير اسم الرسول ﷺ قائلاً :

بما أن الحروب الصليبية قد انتهت، وبما أنها قد تعرفنا على حقيقة محمد ﷺ، أليس حرياً بنا أن ننطق باسمه كما تنطقه العرب؟ ثم أليس من باب التأدب أن نطلق على المسلمين الاسم الذي يرتضون فناديهم بالمسلمين لا بالمحمدية؟⁽⁴⁾.

أما برنارد شو Bernard Shaw الكاتب والأديب والفيلسوف الايرلندي الساخر فقد قضى

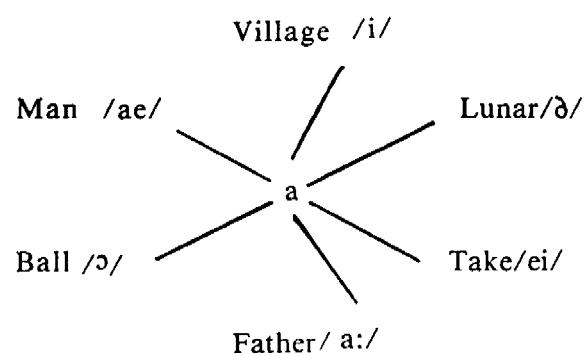
يتطابق في عدد الأصوات والحرف والعكس. فعدد الحروف في الكلمة كتب هو ستة. وهذا هو عدد الأصوات فيها. فالحركات في العربية هي أصوات صائمة (Vowel Sounds). ومن هنا استندنا في دعوتنا إلى تعريب الخط اللاتيني بدلاً من تلتين الخط العربي. والمعروف أن معطيات علم الأصوات تشير بأن نظام الكتابة المثالي هو الذي يتحقق فيه تطابق وتناظر بين الصوت والحرف.

أما الاتهام الثاني فهو أن اللغة العربية لغة دينية وليس لغة علمية حضارية، بمعنى أنها غير قادرة على استيعاب الحضارة المعاصرة. وقد وجه هذا الاتهام من عالم لغة في جامعة رفيعة المستوى في أوروبا وكانت قد سمعتها من أحد أبناء العربية من يختص في تدريس الأدب الإنجليزي ولا سيما مسرحيات وليم شكسبير. وهنا لا بد من تقرير بعض الحقائق للرد على هذه الاتهامات :

أولاً : إن علم اللغة الحديث يعتبر كافة اللغات قادرة على مجازاة التقدم الحضاري، لا فرق في ذلك بين لغة وأخرى، إنما الفرق في وسيلة تحقيق ذلك. وبناء عليه فإنها لا يمكن تصنيف اللغات إلى علمية وأدبية ودينية إنما التسميات التي تخرج عن نطاق علم اللغة ومعاييره. لكن يوسعنا القول بأن هناك شعوباً متحضررة وأخرى بدائية. وهذا ليس عيب في اللغة إنما العيب في الناطقين بها.

ثانياً : أما أن العربية لغة الدين وليس لغة الحياة، فذلك — في المفهوم الإسلامي — نوع من الفصل لم يكن لنا به عهد. فالدين في ضمير المسلم وفي النظرة الإسلامية نهج للحياة. ونوع من السلوك وصلة ما بين الدنيا والآخرة هي صلة العمل والجزاء، وصلة البداية والنهاية، وما كان في جزيئاته وكلياته إلا توجيهها للحياة نحو المثل الأعلى، وارتفاعها بالواقع

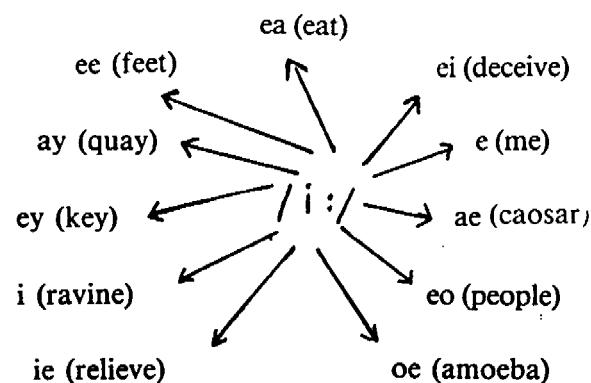
ينظره أكثر من خمسة أصوات كما يوضح الشكل أدناه :



شكل (1) يبين أصوات الحرف a في الإنجليزية

أما حرف (C) فيلفظ /S/ كـا في Receive، و/K/ كـا في Car، و/ɔ:/ كـا في Cello، كـا أنه لا ينطق في .Czar

هذا عن العلاقة بين الحرف والصوت في الإنجليزية، أما عن العلاقة بين الصوت والحرف فإننا نجد أن الصوت /i/ الذي يعادل الياء في الكلمة «فيل» تقابل الحروف التالية الموضحة في الشكل رقم (2).



شكل (2) يمثل الحروف المناظرة للصوت /i:/.

ولو اعتمد الأوروبيون الخط العربي ونظام الاملاء العربي لوفروا على أنفسهم الوقت والجهد إذ أنه يتميز

النظريات توجيهها لسلوكنا وليس نظريات فرويد أو داروين أو سكينر — في دائرة ضيقه هبطت بالعلم وحصرته في ميدان الميكانيكا والفلسفة الوضعية وجردته من القيم الإنسانية. ومن هنا أصلق العلم بنفسه الخطأ المثير الذي زعم أن ليس للعلم ما يقوله في قضايا النشأة الإنسانية والمصير والتطلعات العليا والقيم الروحانية⁽⁴⁾. ومثله هذه المقولات التي زعمت أن هذه الموضوعات هي أمور خارجة عن ميدان المعرفة الإنسانية وأنه لا يمكن التأكد منها أو إثباتها بطريقه تقنن العقل. لقد حكم هذا الاتجاه على العلم بالاخفاق وقصر مفهومه على التقنية وأبرزه مجردًا من الأخلاق وقواعد الأدب الإنساني.

ومثل هذا الفصام بين المعرفة والقيم أصاب بعض الأديان — غير الاسلام بطبيعة الحال — حيث انفصلت عن الحقائق وانعزلت عن العلوم والمعارف إلى درجة جعلت منها أعداء للمعرفة العلمية. وأن ليس لديها شيء تعلم. ولعل ما حدث للعالم الفلكي والفيزيائي الإيطالي غاليليو (1564 - 1642 م) الذي اضطهدته الكنيسة وأمرت بحبسه وحددت إقامته حتى مات بعد فقد بصره، خير شاهد على ذلك.

رابعاً : لقد تحولت اللغة العربية — بفضل الاسلام وحثه على العلم وتشجيعه للعلماء واكتشاف أسرار الكون، وطلب العلم ولو في الصين — من لغة تعبر عن البيئة البدوية التي كانت سائدة قبل بزوغ فجر الاسلام إلى لغة شملت كافة جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والإدارية والاجتماعية، والعلمية كذلك. وقد ترجم علماء الاسلام إلى العربية نفائس الكتب الهندية واليونانية واللاتينية. كما برعوا في كافة فروع المعرفة، فأفزوا بالعربية في الفلك والطب والكيمياء والرياضيات — بل إنهم أوجدوا فروعًا جديدة مثل ما يعرف خطأ «الللوغاریتمات» وهي

إلى آفاق هذا المثل وأجوائها. لم يكن هناك هذه الازدواجية اللغوية أو الفكرية بين المسجد والسوق، وبين البيت والحياة، بين دور العبادة وبين مؤسسات المجتمع، ما تفكك فيه في المسجد يقودك إلى السوق أو الحقل، أو المصنع. وما تعلمك هنا في هذه هو ترجمة عملية لما تفكك فيه هناك. ما عرفنا في تاريخنا الاسلامي هذه الثنائية المتقطعة، ولكننا عرفنا أن هاتين الوجهتين وجهان لحقيقة واحدة. وكانت اللغة ذاتها شاهداً حياً على ذلك. أنها كانت تنقلنا من خلال الآيات والأحاديث بين حياتين متصلتين، إحداها الدنيا ونقضيتها هي كذلك حياة، حياة أخرى — كما يقول المرحوم الدكتور شكري فيصل في مناقشة لغوية جرت بيننا قبل انتقاله إلى رحمة الله — والحياة مزرعة الآخرة، وما تبذره هنا تتجنه هناك. وأنت هنا تصنع بأعمالك حياتك هناك (وهنا) (وهناك) ليس بالخطين المتقطعين وإنما خط واحد متطابق، يرسم الطريق بين رحلة متصلة الأطراف.

إلا أن خصوم الاسلام أساءوا فهمه، أو هم فهموه متأثرين بما انتهى إليهم الأمر في حياتهم وفكرهم، وفي معاشهم وسياستهم من هذه الثنائية ما لله لله وما لقيصر لقيس بين وحي السماء وسلوك الأرض، بين جواذب الواقع ودوافع المثل.

ثالثاً : لقد درجت النظرية في الغرب على اعتبار كل من الدين والعلم عالمين منفصلين عن بعضهما البعض وذلك بسبب الفهم الضيق لكل من العلم والدين. وقد حقق هذا الفصام مفهوم العلم في القرن التاسع عشر — كما يعتقد البروفسور إبراهام ماسلو أستاذ علم النفس المشهور على مستوى القارة الأمريكية وخارجها وصاحب مدرسة خاصة به وصاحب نظرية «القوة الثالثة» في علم النفس التي كتبت عنها مجلات متخصصة بأنها ستكون أكثر

مشتقة من اسم واضح ومؤسس قواعد هذا العلم وهو الخوارزمي.

تقول المستشرقة الألمانية زيفريد هونكه في كتابها المشهور «شمس العرب تسطع على الغرب»⁽⁵⁾. إنه قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي كبير. وكان هذا الأثر العظيم يضم كل المعارف الطبية منذ أيام الاغريق حتى عام 925 قبل الميلاد. وظل المرجع الأساسي في أوروبا لمدة تزيد عن الأربعين عاماً بعد ذلك التاريخ دون أن يزاحمه مزاحم أو تؤثر فيه أو في مكانه مخطوطة من الخطوطات المزيلة التي دأب في صياغتها كهنة الأديرة قاطبة، وهو العمل الجبار الذي خطته يد عربي قدير هو الرazi أو رازاسي Rhases كلامه سمعه بلاد الغرب. وأما اسمه فهو أبو بكر محمد بن زكريا.

وقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالاً فأقاموا له نصباً في باحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في شارع سان جرمان.

خامساً : لعل هذه الحقائق التاريخية هي التي حدثت بأحد مؤسسي علم اللغة الحديث وهو إدوارد ساير Edward Sapir ليكتب الآتي في وصف العربية (1921 : 194) :

إن اللغاتخمس الوحيدة التي كان لها دور رئيس في حمل الحضارة الإنسانية هي : الصينية القديمة، والسنسركريتية والعربية واليونانية واللاتينية⁽⁶⁾.

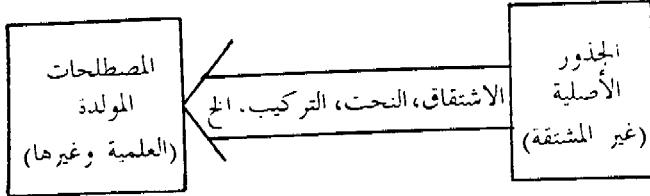
والملاحظ أن اللغة العربية، من بين هذه اللغات، هي الوحيدة التي ما زالت تؤدي دورها

دون انقطاع، ذلك أن الصينية القديمة والسنسركريتية واليونانية القديمة واللاتينية قد انبعث عنها لغات حية تقوم بذلك الدور الحضاري. وقد رفت اللغات الأوروبية الحديثة بكم هائل من المصطلحات العلمية شائعة الاستعمال في يومنا هذا.

أما العالم اللغوي الآخر الذي يشهد للعربية، بدورها في النهضة العلمية وتأثيرها في اللغات الأوروبية الحديثة ومنها الانجليزية فهو رونالد لانغacker Ronald Langacker الذي يرى أن الكلمات المستعارة من لغة ما تعكس مدى تأثيرها الحضاري في اللغة المستمرة، وأن نسبة كبيرة من الكلمات العربية الدخيلة في الانجليزية هي كلمات علمية مثل كلمات دخلت الانجليزية عن طريق الإسبانية⁽⁷⁾. وهذا ما يشهد لتأثير العربية في المجالات العلمية المختلفة.

سادساً : ما هي اللغة العلمية :

اللغة العلمية — أو الأسلوب العلمي على وجه التحديد — هو عبارة عن عدد من المفردات، مثله مثل الأسلوب الأدبي والأسلوب الديني المخ، اضيفت إليها معانٍ خاصة تعارف عليها العلماء كل في مجال تخصصه. واللغة، كما هو معروف، تستخدم الوسائل المحدودة للتعبير عن الأغراض اللامتناهية. ينطبق هذا على النظام التحوي حيث عدد أنماط الجمل محدود (تستخدم الانجليزية مثلاً تسعة أنماط أساسية) يولد بموجتها ألف الجمل. كما ينطبق هذا على النظام الصرفي حيث أن عدد الجذور الأساسية في أي لغة محدود في حين أن عدد الكلمات المولدة بالعمليات الصرفية المختلفة من اشتقاق وتركيب ومشج (نحت) يصل إلى مليون كما هو الحال في العربية والإنجليزية.



شكل (3) طريقة توليد الألفاظ الجديدة

نعم اللغة العربية لغة دينية :

وبعدما تقدم عن مدى علمية العربية ووفائها باحتياجات الحضارة الإنسانية فإن لأهلها أن يعتزوا بأنها لغة كتاب سماوي جاء تبياناً لكل شيء وهدى، ولغة نبي عربي، وهذا تشريف لها. ولعل هذا ما جعل سيبويه يقول لأن أذم بالعربية أحب إلى من أن أمدح بالفارسية، والأخريرة كانت لغته الأم. وإضافة إلى ما ذكرنا من تشريف للعربية بحملها رسالة السماء فإنها وسيلة تربط العبد بخالقه، إذ لا يكاد يخلو موقف من موقف الحياة إلا ووردت فيه آية أو حديث يذكر فيه اسم الله سبحانه وتعالى ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾ (الرعد : 28)

وهذه إحدى الخصائص التي تنفرد بها العربية عن غيرها من اللغات. ونذكر هنا ما ورد في بعض هذه المواقف على سبيل القصر لا الحصر :

1) في دخول المنزل : عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ «إذا ولج الرجل بيته فليقل : اللهم إني أسألك خير الموج. بسم الله وجلنا، بسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله» حديث حسن.

2) فيما ينعم به على الإنسان : ﴿هَوْلُوا إِذْ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله﴾ (الكهف : 39).

وقد تم توليد ثلاثة ألف مصطلح جديد في لغة الطب (في معجم الطب الإنجليزي) باستخدام مائة وخمسين جذراً إضافة لأسماء أعضاء الجسم. ما مدى علمية العربية في القرن العشرين ؟

بإلقاء نظرة فاحصة على بعض المعاجم التي يصدرها مكتب تنسيق الترسيب في الوطن العربي يتبين أنه قد تم توليد آلاف المصطلحات في مختلف المجالات العلمية. وفيما يلي بيان باسم المعجم وعدد المصطلحات التي تم توليدها :

المعجم	عدد المصطلحات
النبات	4213
الكيمياء	2092
الجيولوجيا	7525
الدم	1433
الرياضيات	3590
النفظ	4802
الفيزياء	5126
الحيوان	4320

ولا غرو في ذلك فإن ما تمتلكه اللغة العربية من ثروة لفظية هائلة على مستوى الجذور يؤهلها أن تنهض دوماً بدورها الحضاري. وتشير إحصائيات الحاسوب الآلي إلى أن عدد جذور لسان العرب هو 9273 جذراً، هذا في مقابل (500) خمسمائه جذر تمتلكها مجموعة اللغات الهندية — الأوروبية، وفقاً لما ذكره مولر Muller. ويمكن توضيح الكيفية التي يتم عوجهها توليد الألفاظ على النحو التالي كما بين الشكل (3) أدناه.

عبد الله بن المبارك وامرأة عجوز لم تتكلم إلا بالقرآن الكريم لمدة أربعين سنة إذ يقول خرجت حاجا إلى بيت الله الحرام وزيارة قبر نبيه عليه الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق إذ أنا بسوداد، فتميزت ذاك، فإذا عجوز عليها درع من صوف وخمار :

فقلت : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

فقالت : سلام قوله من رب رحيم⁽⁸⁾.

فقلت لها : رحمك الله ! ما تصنعين في هذا المكان ؟

فقالت : هؤلء من يضل الله فما له من هاد⁽⁹⁾.

فقلت : إنها ضالة عن الطريق.

فقلت لها : أين تریدين ؟

قالت : سبحان الذي أسرى بيده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى⁽¹⁰⁾.

تعلمت أنها قضت حجها وهي تريد بيت المقدس.

فقلت لها : أنتمنذ كم في هذا الموضع ؟

قالت : هؤلء الذي هو يطعني ويسقيني⁽¹¹⁾.

قلت : فبأي شيء تتوضئين ؟

قالت : هؤلء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا⁽¹²⁾.

فقلت لها : إن معي طعام، فهل لك حاجة في الأكل ؟

قالت : هؤلء أتموا الصيام إلى الليل⁽¹³⁾.

فقلت : قد أتيح لنا الافتخار في السفر.

قالت : هؤلء وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون⁽¹⁴⁾.

فقلت : لم لا تكلمي مثل ما أكلمك ؟

قالت : هؤلء ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد⁽¹⁴⁾.

فقلت : من أي الناس أنت ؟

قالت : هؤلء لا ثقف ما ليس لك به علم إن

(3) فيما يصاب به المؤمن صغير وكبير :
﴿الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون﴾. (البقرة : 156).

(4) في الاستسقاء : عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال : أتت النبي ﷺ بواك (وهي جمع باكية) فقال النبي ﷺ : «اللهم اسقنا غيثا، مريضا، مريعا، نافعا غير ضار، عاجلا غير آجل» فأطبقت عليهم السماء. حديث حسن على شرط الشيختين.

(5) في السفر : عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال : «من أراد أن يسافر فليقل لمن يخلفه : أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائمه». حديث حسن.

(6) في ركوب البحر : يذكر عن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : «أمان لأمني من الغرق إذا ركبوا أن يقولوا : بسم الله مجرها ومرساها، إن ربى لغفور رحيم». (هود : 41). أخرجه ابن السنى. وأبو يعلى الموصلى وسنده ضعيف جدا.

(7) في النكاح : عن أبي هريرة رضي الله عنه : أن النبي ﷺ قال : كان إذا رفأ النبي ﷺ الإنسان وإذا تزوج قال : «بارك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير». حديث حسن صحيح.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما : عن النبي ﷺ قال : «لو أن أحدكم أتى أهله قال : بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان، وجنب الشيطان ما رزقنا - فقضى بينها ولد، لم يضره شيطان أبدا». وقس على ذلك في باقي المواقف الحياتية.

ونسوق هنا هذا الحوار الظريف الذي دار بين

والعمارات.

فقلت : هذه القباب فمن لك فيها ؟

قالت : ﴿وَاتْخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾⁽²⁷⁾. هُوَ كَلْمَ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا⁽²⁸⁾، هُوَ يَحْسِنُ حَذِ الْكِتَابَ بِقُوَّتِهِ⁽²⁹⁾.

فناديت : يا إِبْرَاهِيمَ، يا مُوسَى، يا يَحْسِنَ، فَإِذَا بِشَبَانَ كَأَنَّهُمُ الْأَقْمَارَ قَدْ أَقْبَلُوا، فَلَمَّا اسْتَقَرُّوهُمْ جَلُوسًا.

قالت : ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بُورْقَمَ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلَيَنْظُرْ أَيْهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلَيَأْتُكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾⁽³⁰⁾. فَمَضَى أَحَدُهُمْ، فَاشْتَرَى طَعَامًا فَقَدَمَهُ بَيْنَ يَدَيِّي، فَقَالَتْ : ﴿كُلُوا وَاشْرُبُوا هَنِئُوا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْحَالِيَّةِ﴾⁽³¹⁾.

فقلت : الآن طعامكم على حرام حتى تخبروني بأمرها.

فقالوا : هذه أمنا خاً منذ أربعين سنة لم تتكلّم إلا بالقرآن، مخافة أن تزل في سخط عليها الرحمن.

فقلت : ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلَيْهِ﴾⁽³²⁾.

نخلص من هذا إلى أن هناك تفاعلاً بين الدين والعلم مما يعمل على إنشاء الحضارات الإنسانية، إذ يمد الدين الأمة بأهداف عليا تجتمع عليها وتسرّع العلم في سبيلها. ويتعقد هذا التفاعل ويقوى بمقدار توافق مقررات الدين وتطبيقات العلم. كما يستمر الاتجاه الإيجابي للحضارة ما دام الدين يوجه الأهداف ويخفظ المجتمع من مضاعفات الترف والانغماط في ثمار الحضارة. أما حينما يتوقف التفاعل بين الدين والحضارة حين يظهر سوء فهم ديني عاجز عن حلول مشكلات الحضارة وتسيير الحضارة دون إرشاد فإنهما تؤول إلى السقوط.

السمع والبصر والرؤا كل أولئك كان عنده مسؤولاً⁽¹⁵⁾.

فقلت : قد أخطأت فاجعليني في حل.

قانت : ﴿إِلَّا تَرِيبٌ عَلَيْكُمْ يَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾⁽¹⁶⁾؟

فقلت : فهل لك أن أحملك على ناقتي، فتدركني القافلة ؟

فقالت : ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ﴾⁽¹⁷⁾. قل : فأخنت الناقة.

قانت : ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضِبْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ﴾⁽¹⁸⁾. فغضبت بصرى عنها، وقلت لها أركبى. فلما أرادت أن تركب نفرت الناقة، فمزقت ثيابها، فقالت : ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَهَا كَسْبَتِ أَيْدِيكُمْ﴾⁽¹⁹⁾. قلت لها أركبى، فقلت : ﴿سَبَّحَنَ الَّذِي سَخَرَ لَنَا هَذَا وَمَا كَنَا لَهُ مَقْرِنَيْنِ وَإِنَا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ﴾⁽²⁰⁾.

فأخذت بزمام الناقة، وجعلت أسعى وأصبح، فقلت : ﴿وَاقْصُدْ فِي مُشِيكَ وَاغْضُضْ مِنْ صُوتِكَ﴾⁽²¹⁾. فجعلت أمشي رويداً رويداً وأترنم بالشعر، فقالت : ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾⁽²²⁾. قلت لها : أُوتِيتَ خيراً كثيراً.

فقلت : ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أُولَوَ الْأَلْبَابُ﴾⁽²³⁾. فتمنى مشيت بها قليلاً قلت لها : ألك زوج ؟ قلت : ﴿يَأْهَبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْتَأْلُوا عَنِ أَشْيَاءِ إِنْ تُبَدِّلْ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ﴾⁽²⁴⁾.

فسكت ولم أكلمها حتى أدركت القافلة، فقلت لها : هذه القافلة فمن لك فيها ؟

فقلت : ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الدِّينِ﴾⁽²⁵⁾. فعلمت أن لها أولاداً.

فقلت : وما شأنهم في الحج ؟

فقلت : ﴿وَعُلَامَاتٍ وَبَالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾⁽²⁶⁾. فعلمت أنهم أدباء الركب. فقصدت القباب

رسول الله» وثانياً القرآن والسنة — والكلام لبرنارد لويس — وثالثاً النظام الماهر المبني على «نظيرية» الإسلام الدينية وعلى الفقه الذي استند إليها (ونته بأن الإسلام وحي وليس نظرية).

فتعاليم الإسلام المبعثة من منابعه الأصلية تضم بالإضافة إلى المعتقدات والعبادات تشریعاً يمكن تسميته بلغة الغرب الحقوق المدنية والحقوق الجنائية وحتى الحقوق الدستورية. فكل مسلم مؤمن يعتقد أن هذه التشريعات الإسلامية جاءت من النبع نفسه ولها سلطة وقوة التشريعات الاعتقادية والعبادية نفسها.

ولقد وضع فقهاء المسلمين — كما يقول لويس — أسس التقاليد السياسية للمجتمعات الإسلامية، وبقيت هذه التقاليд سارية المفعول لقرون طويلة وكان لتاريخ المسلمين رصيد ضخم من القوة المعنية في قلوب المسلمين، وكل لغات المسلمين كانت تكتب الأحرف العربية على الرغم من اختلاف أصولها، وكلها استعارت ما لا حد له من المفردات العربية خصوصاً في حقل الفقه والتقاليد من جهة وحقل التشريع والحكم من جهة أخرى⁽³³⁾.

وفي ظل هذه المعطيات فإننا على يقين بأن اللغة العربية ستواصل تأدية دورها الحضاري بفضل العقيدة التي ترتبط بها ارتباطاً وثيقاً — عقيدة التوحيد التي تخرج البشر من عبادة البشر إلى عبادة الله يُرِيدُونَ لِيُطْفَئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مَنْ نُورٌ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ (الصف : 8).

إن اللغة — أي لغة — ليست سوى مرآة ووسيلة للتعبير عن الحضارة المنشقة عن عقيدة الأمة. وقد أدت العربية دورها على خير وجه — قدماً — حيث صارت الانجازات البشرية والتقنية ورثتها (إذ لم تكن العربية مجرد ساعي برید)، وحديثاً حيث ولد خلال عشرين سنة في عصرنا الحاضر ما يربو على خمسة وثلاثين ألف مصطلح علمي نظراً لما بذله وتبذل المجمع اللغوية ومكتب تنسيق التعریف الذي تشرف عليه المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. وهي — أي العربية — لغة عقيدة شاملة لجوانب الحياة الدنيوية والأخروية. يقول برنارد لويس Bernard Lewis إن للدين مفاهيم مختلفة في أذهان مختلف الناس. ففي الغرب يعني الدين بصورة رئيسية نظام إيمان وعبادة يتميز عن الولاء الوطني والسياسي ويعتبر في هذا العصر ثانوياً بالنسبة للولايات السابقات. أما بالنسبة للمسلمين فالدين يعني أكثر من ذلك بكثير. فالإسلام يشمل في معناه ما تعنيه في الغرب كلمة الحضارة المسيحية والدين المسيحي بمجتمعين. ولا شك أن هناك تقاليد وصفات محلية ووطنية وإقليمية عاشت وتعيش في المجتمعات الإسلامية، ولقد نالت أهمية كبيرة في العصر الحديث. غير أن جميع الشعوب التي قبلت بهذه التقاليد لها قاسم مشترك واحد من الإيمان والولاء للشريعة الإسلامية يطبعها بطبع هوية واحدة يبقى ويدوم.

والوحدة التي تجمع هذه الشعوب على قاسمها المشترك هي عقيدة «أن لا إله إلا الله وأن محمداً

الهوامش

- (1) إبراهيم المشوخي، آفات اللسان : مكتبة المنار — الأردن الزرقاء 1985 م.
- (2) «خات من حياة برنارد شو» مجلة هنا لبنان، تشرين الثاني 1982، العدد 409، ص. 3.
- (3) ابن تيمية، الكلم الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (4) إبراهيم ماسلو «خطر الانشقاق بين الدين والعلم». ترجمة وتعليق الأستاذ ماجد الكيلاني. مجلة الأمة، ربيع الأول 1401 هـ، قطر، الدوحة، ص. 21 - 17.
- (5) زيفرد هونكك : شمس العرب تسطع على الغرب «أثر الحضارة العربية في أوروبا» ترجمة فاروق بيضون وكhal الدسوقي، منشورات دار الأفاق الجديدة، بيروت 1963 م.
- (6) - Sapir, E. «Language, an introduction to the study of speech», Harcourt, Brace & World, Inc.
- Langacker, R.W. «Language and its structure», Harcourt, Brace Jovanovich, Inc.
- (7) سورة ياسين، الآية 58
- (8) سورة الرعد، الآية 32
- (9) سورة الأسراء، الآية 1
- (10) سورة الشعرا، الآية 79
- (11) سورة النساء، الآية 43
- (12) سورة البقرة، الآية 184
- (13) سورة ق، الآية 18
- (14) سورة الأسراء، الآية 36
- (15) سورة يوسف، الآية 92
- (16) سورة البقرة، الآية 197
- (17) سورة النور، الآية 31
- (18) سورة الشورى، الآية 30
- (19) سورة الزخرف، الآية 13
- (20) سورة لقمان، الآية 18
- (21) سورة الزمر، الآية 20
- (22) سورة البقرة، الآية 269
- (23) سورة المائدة، الآية 101
- (24) سورة الكهف، الآية 46
- (25) سورة النحل، الآية 16
- (26) سورة النساء، الآية 125
- (27) سورة النساء، الآية 164
- (28) سورة مريم، الآية 12
- (29) سورة الكهف، الآية 19
- (30) سورة الحاقة، الآية 24.
- (31) سورة المائد، الآية 54.
- (32) برنارد لويس «الغرب والشرق الأوسط»، (تعریب د. نیل صبحی)، کتاب المختار — القاهرة، 1965 م، ص 32 - 33.
- (33)

المراجع العربية

- (1) إبراهام ماسلو «خطر الانشقاق بين الدين والعلم» ترجمة وتعليق الأستاذ ماجد الكيلاني، مجلة الأمة — ربيع الأول 1401 هـ. قطر، الدوحة، ص 17 - 21.
- (2) إبراهيم المشوخي، آفات اللسان : مكتبة المنار — الأردن، الزرقاء 1985 م.
- (3) ابن تيمية، الكلم الطيب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- (4) برنارد لويس «الغرب والشرق الأوسط»، (تعريب د. نبيل صبحي). كتاب المختار — القاهرة، 1965 م، ص. 32 - 33.
- (5) «لحات من حياة برنارد شو» مجلة هنا لندن، تشرين الثاني، نوفمبر 1982 م، العدد 409، ص. 3.
- (6) زيغفرد هونكه : شمس العرب تستطع على الغرب، «أثر الحضارة العربية في أوروبا»، ترجمة فاروق بيضون وكال دسوقي، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت 1963 م.

المراجع الأجنبية

- Abderrahman, W. H. (1981). *The Role of Derivation in the Processus of Neologisation in Arabic*, Ph. D. Dissertation SOAS, London University.
- Langacker R. W. (1973). *Language and its Structure*, Harcourt Brace Jovanovich, Inc.
- Sapir,E (1921). *Language, An Introduction to the Study of Speech*,Harcourt, Brace & World,Inc
- Taylor, W. (1933), «Arabic Words in English»
Tracts No. XXXVIII in Society of Pure English, Tracts XXXI - XL. London : Clarendon PP. 99 - 567